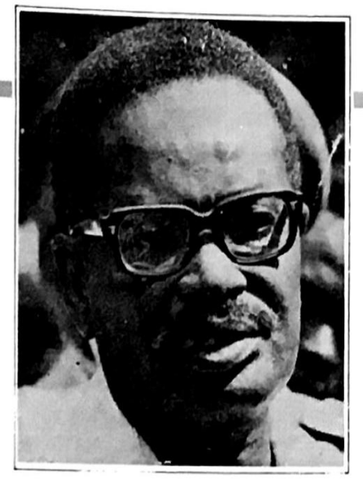

اوغستينو نيتو مناضل فقدته انغولا والحركة التقدمية العالمية

توفي نيتو على اثر عملية جراحية دقيقة يوم الثلاثاء ١١ أيلول في موسكو ، حيث بدأ علاجه للمرة الثانية في ٦ أيلول الحالي . ولقد اعلن بيان المكتب السياسي لحزب الحركة الشعبية لتحرير انغولا والذي يتزعمه نيتو ، خبر وفاته الى الشعب الانغولي وأعلن الحداد عليه لمدة ٤٥ يوما .

ولد أوغستينو نيتو الذي يبلغ السابعة والخمسين من عمره في ١٧ أيلول عام ١٩٢٢ في مدينة كاسيدكان التي تبعد ١٠٠ كيلومترا عن لواندا . ولقد اكتسب اسم نيتو سمعة افريقية وعالمية حيث اعتبر أحد أشهر زعماء أفريقيا الثوريين ، فهو الذي قاد بلاده في نضال دام ٢٢ عاما ضد الاستعمار البرتغالي ، حتى حقق النصر لبلاده واقام نظاما اشتراكيا تقدميا ، جاعلا من انغولا محطة للثوريين الافارقة .

بدأ نيتو نضاله ، منذ كان طالبا في البرتغال ، ففي بيت الطلبة (المسمى « الامبراطور ») في مدينة لشبونة ، حيث كان يدرس الطب هناك ، عرف نيتو بأن عليه أن يناضل بلا هوادة لتحرير بلاده والبلدان الافريقية المجاورة من نير الاستعمار البرتغالي ، ومنذ ذلك الوقت شكل مع أصدقاءه الطلبة من موزامبيق وغينيا بيساو وانغولا منظمات ثقافية ، مهمتها الدفاع ضد العنصرية ومن أجل التحرير . وكتب حينذاك الكثير من القصائد الانسانية والتحريضية معبرا عن مأساة بلاده (وعرف فيما بعد بشاعر الاحتجاج) وكان مع رفاقه أميلكار كابرال ، ادواردو موندلاني ، مارسيلنو دو سنتوز بشكلون الضمير الافريقي الحقيقي لحركة ثقافية اتسعت فيما بعد ، وأصبح هؤلاء قادة ثوريين لبلدانهم .

عرف نيتو السجن لاول مرة في حياته عام ١٩٥١ حين نشر كتابا بدين فيه نظام سالازار ، وفي السجن أعاد النظر في منهجه السياسي وطريقة النضال ، وسجن مرة ثانية في شباط عام ١٩٥٥ ، واستمر في سجنه حتى ولادة الحركة الشعبية لتحرير أنغولا في ١٠ تشرين الاول عام ١٩٥٦ ، حيث رشحه المؤتمر الاول رئيسا فخريا للحركة وهو في سجنه ، وعندما اطلق سراحه في حزيران عام ١٩٥٧ ، صرح بانه تلقى في السجن المبادىء الماركسية والاشتراكية ، وواصل نضاله السياسي المجدد وفي الوقت نفسه دراسته حتى حصل على دبلوم الطب ، فاصبح طبيبا في عام ١٩٥٨ ، عاد الى بلاده وعمل طبيبا وقائدا سياسيا مهما حتى سجنه البوليس السياسي البرتغالي في ٨ حزيران ١٩٦٠ ، الا أن الجماهير الانغولية التي عرفت نيتو والتصقت بمبادئه احتشدت باعداد كبيرة وتظاهرت معلنة استنكارها لسجنه وهاتفة ضد الاستعمار البرتغالي ، مما حدى بالبوليس القمعي البرتغالي الى اطلاق النار على المتظاهرين فاسقط منهم ٣٠ قتلى ومئات الجرحى ، وهكذا بدأت لاول مرة مذبحة معركة التحرير . وهكذا قيد نيتو مكبلا بالسلاسل الى البرتغال ومنها منفيا الى جزر كيب ميردي . وهناك قرر مواصلة النضال مهما عظمت التضحيات . وفي تشرين الاول عام ١٩٦١ نقل الى سجن الجوبي في لشبونة ، ولقد اثار سجنه رد فعل عالمي كبير فمارست القوى التقدمية العالمية ومجلة العفو الدولية ضغوطها على نظام سالازار حتى اضطرت الى وضعه في الاقامة الجبرية فقط عام ١٩٦٢

الهرب وبدء الكفاح المسلح

وفي شهر تموز عام ١٩٦٢ استطاع نيتو وبمساعدة الحزب الشيوعي البرتغالي أن يهرب من اقامته الجبرية ، ويعبر المغرب الى ليوبولدفيل في الكونغو (زائير حاليا) ، حتى وصل بلاده مخاض صراعا على مستوى الحركة الشعبية فهزم منافسه ماريو دي اندرادي كقائد للحركة . وهكذا مهد الطريق لبدء النضال المسلح. وفي ٤ شباط بدأت الانتفاضة الشعبية المسلحة في لواندا واتسعت بعد ذلك لتشمل مزارع القهوه حتى شملت كل شمال البلاد ، الا أن هاتين الانتفاضتين قد أخفقتا مما حدى بالبوليس البرتغالي الى اعتقال مئات الالوف من الانغوليين ، وبدأ البوليس والجيش الاستعماري بانتهاج طريقة المذبحة الجماعية فقام بقتل ما يقرب من ١٠٠ الف انغولي .

ولقد عانت الحركة الشعبية لتحرير أنغولا من أزمة خطيرة ، داخلية وخارجية ، فحينها بدأت مرحلة الانشقاقات داخل الحركة . وظهرت في أنغولا الجبهة الوطنية المنافسة للحركة ، وكينشاسا دعمت هذه الجبهة وفتحت مستشفياتها لاعضائها وساعدتها بكل الوسائل ، ورفضت التعاون مع الحركة بل انها قامت بقتل مجموعتين عسكريتين تابعتين للحركة بينما كانتا تعبران من زائير الى أنغولا . وهكذا ساهمت الضغوط الخارجية ، والجغرافية السياسية لانغولا ايضا بعرقلة مسيرة وتطور الحركة الشعبية في كفاحها المسلح ضد المستعمرين .

الاتفاق الذي أدى الى الاقتتال

في كانون الاول عام ١٩٧٢ عقدت الحركة الشعبية والجبهة الوطنية اتفاقا للتعاون ولعدم التعرض ، الا ان طموح كل من هولدن روبرتو المدعوم من الرئيس موبوتو أدى الى فشل هذا الاتفاق ، وبدأت الحرب ما بين الطرفين ، وعلى اثر ذلك انشق كل من دانييل شيندرو ثم هولدن روبرتو وجوناس سافمبي . وعندما قوي الجناحان اللذان أقامهما روبرتو (الجبهة الوطنية لتحرير أنغولا) وسافمبي (الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا الكامل) ، عزم البرتغاليون على اجراء انتخابات في أنغولا عام ١٩٧٥ بين الاتحادات الثلاث ، وهذه الانتخابات هي التي كانت بداية للحرب الاهلية المستمرة على أنغولا . استمرت هذه الحرب الطاحنة حتى قبل شهر من التاريخ المقرر لاعلان استقلال البلاد ، وبمساعدة المنظمات المسارة البرتغالية ، استطاعت الحركة الشعبية أن تحاصر الجبهة الوطنية في شمال لواندا ، كما استطاعت أن تحاصر الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا في عاصمتها وامبو ، وأصبح الانتصار في يد الحركة ، الا أن تدخل قوات من جنوب أفريقيا لمساعدة المبين عرقل الانتصار ، بل وحاصر الحركة تماما ، مما دفعها الى طلب المساعده من قوى التحرر العالمية ، وقدمت كوبا انطلاقا من مبدأ التضامن الاممي مساعداتها التضامنية مما ساعد الحركة وأوقف هجوم الجبهة الوطنية وانهزمت قواتها .

وفي ١٠ تشرين الثاني وفي الليل انتصر نيتو ورفع لاول مرة علم أنغولا الذي أعلنها جمهورية شعبية . وعقدت الحركة الشعبية أول مؤتمر لها بعد الانتصار في الفترة ١٠ — ١٦ كانون الاول ١٩٧٧ لمعلن الانتصار الكامل لفكر ومبادىء نيتو في الحركة الشعبية وتنصبه رئيسا للجمهورية . وهكذا مات نيتو الشاعر ، والطبيب والثائر ، وبقي فكره ونضاله وشجاعته واشعاره الانسانية الثورية ، مادة للنضال ضد الاستعمار ومن اجل التقدم .

■

المؤتمر الدستوري حول زيمبابوي على الطريق المسدود

عندما وافق زعيما الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي جوشوا نكومو وروبرت موغابي ، على حضور المؤتمر الدستوري الروديسي في لندن ، اعربا عن جملة تحفظات ، وحرصا على التأكيد بأن الجبهة الوطنية بموافقتها على حضور المؤتمر فانها لا تفعل أكثر من التدليل على استعدادها للتفاوض على حل للمسالة الزيمبابوية ، وحتى مع .. بريطانيا .

وعندما وافق رئيس وزراء زيمبابوي ـ روديسيا الاسقف ابيل موزوريوا على حضور المؤتمر فانه كان يعرب عن استعداده للتفاوض مع بريطانيا ولانه يدرك بأن حكومة المحافظين التي لا تنشط بمعزل عن الموافقة الامريكية ، لا يمكن أن تكون أقرب الى الشروط التي سيطرحها زعيما الجبهة الوطنية ، وأبعد عن الشروط التي يتمسك بها موزوريوا وايان سميث ، كممثل لمصالح الروديسيين البيض في المؤتمر .

وعندما دعت بريطانيا الى عقد هذا المؤتمر الدستوري برئاسة وزير خارجيتها اللورد كارينغتون فانها كانت تراهن على ان تستطيع ايجاد منفذ للتوفيق بين الطرفين بما يضمن :

١ ـ وضع حد لحرب التحرير التي يشنها مقاتلو جبهة تحرير زيمبابوي . ٢ ـ تامين حاجة بريطانيا لحماية مصالحها الاقتصادية والامنية في ذلك الجزء من القاره الافريقية خاصة . كما انها كانت تراهن على حاجة بلدان خط المواجهة الاول مع روديسيا ، والمساندة للجبهة الوطنية ، الى حل سريع يضمن وضع حد للحرب التي تترك آثارا مدمرة على اقتصادها ، وخاصة اقتصاد زامبيا وموزامبيق .

ولا شك انها ليست الضغوط البريطانية التي دفعت زعيمي الجبهة الوطنية نكومو وموغابي الى الموافقة على حضور المؤتمر الدستوري، بل انها ضغوط الحلفاء المساندين للجبهة الوطنية ، الذين وان كانوا ملتزمين بتاييدها ، فانهم لا يرغبون في تفويت فرصة يمكن أن تؤدي الى صيغة حل في زيمبابوي تنهي الحرب التي تثقل اعباءها عليهم .

كذلك فانها ليست الضغوط البريطانية التي حملت كل من الاسقف موزوريوا والعنصري الابيض ايان سميث ، على الموافقة بحضور المؤتمر ، بقدر ما هي ضغوط الحرب التي يشنها فدائيو زيمبابوي داخل اراضي البلاد . فقد شهدت زيمبابوي ـ روديسيا تصعيدا في العمليات العسكرية لثوار الجبهة الوطنية خلال الاسابيع القليلة الماضية . وسجل الاعلام الغربي المعادي للثورة الزيمبابوية حقيقة ان نسبة الضحايا من جراء الحرب الناشبة هناك قد ارتفعت الى درجة ملحوظة منذ شهر تموز الماضي . ويكفي دلالة على

ايان سميث : اصرار على امتيازات للبيض

حجم التصعيد انه خلال عطلة نهاية أسبوع واحدة قتل ٤٩ شخصا في عمليات عسكرية . وهذا التصعيد الذي يزيد في تعزيز مكانة الجبهة الوطنية يؤدي الى نتيجتين : الاولى ، ان الدول الغربية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة تجد نفسها في موقع لا يسهل عليها تحقيق رغبتها بالاعتراف بالامر الواقع ، الذي ساهمت في خلقه في سالزبوري ، لان خصوم الاسقف رئيس الحكومة ، يزدادون قوة . والثانية ، ان هذا التطور سيحرم موزوريوا من تكريس شرعية حكومته ، وسيجبر سالزبوري على مواصلة الاستنزاف العسكري في مواجهتها للثورة .

ولكن مختلف العوامل التي تجمعت وادت الى موافقة كافة الاطراف ، والى انعقاد المؤتمر الدستوري في لندن ، تعبيرا عن مصلحة هذه الاطراف ، بدرجة او باخرى ، في التفاوض على حل ، ليست هي بالضرورة العوامل التي ستقرر نجاح او فشل المؤتمر في تحقيق هدفه . فمشية انعقاد المؤتمر لم تتغير مواقف الاطراف من المسائل موضوع الخلاف . فقد وافقت الجبهة الوطنية على التحادث مع بريطانيا في المؤتمر . ووافق رئيس الحكومة الاسقف موزوريوا ، وايان سميث على التحادث ايضا ، مع بريطانيا في المؤتمر . ولا تزال الجبهة الوطنية ممثلة بزعيميها نكومو وموغابي ، تعتبر موزوريوا خائنا . ولا يزال موزوريوا يعتبر زعيمي الجبهة الوطنية ، خارجان على القانون وبالتالي ملاحقان منه . ولكن مجرد الموافقة على الاشتراك في المؤتمر عكست استعداد الطرفين على الاشتراك في انتخابات جديدة والنظر في مسودة الدستور التي اعدتها بريطانيا . ولكن مجريات المؤتمر اظهرت بان هذا لا يكفي لضمان حل الخلافات حول المسائل الاساسية .

فهناك خلافات أساسية بين الاطراف حول مسالة الاشراف على العملية الانتخابية ، حول تشكيل القوات المسلحة وقوات الامن ، ومن يسيطر عليها ، وحول الضمانات للمستوطنين البيض . وقد هددت هذه الخلافات بافشال المؤتمر منذ البداية ، وبدت المفاوضات متعثرة خلال الايام القليلة الماضية بسبب الفشل في الاتفاق على صيغ حل لها . فقد اصر زعيما الجبهة الوطنية على عدم تخصيص ضمانات لمصالح السكان البيض في زيمبابوي باعتبار ان مبادىء المساواة في المواطنة ونبذ اي شكل من اشكال التمييز تلغيان هذه الحاجة . وقد ابدى الاسقف موزوريوا استعدادا بعدم الاصرار على هذا المطلب الا ان ايان سميث عضو وفده الى المؤتمر ، اعتبر المطلب حيويا لضمان مصالح البيض واصر على ضرورة الموافقة على مثل هذا البند . كذلك اصر سميث على ضرورة الاحتفاظ لممثلي الاقلية البيضاء بحق الفيتو ، الذي يرفض زعيما الجبهة الوطنية الموافقة عليه ، ليس فقط لانه يعطي البيض امتيازا ، بل لانه يمنحهم القدرة على منع اي تغيير دستوري . وبينما حاول وفد رئيس الحكومة موزوريوا ـ ايان سميث اقناع المؤتمرين بفصل المناقشات حول الدستور عن قضايا الامن والقوات المسلحة ، اصر زعيما الجبهة الوطنية على ضرورة عدم الفصل ، وذلك لحيوية المسالة بالنسبة الى من يسيطر على الحكم ، اذ لا يسع الجبهة الوطنية أن توافق على البنية الحالية لهذه المؤسسة العسكرية ، وهي التي طالما أصرت على ان تتشكل من مقاتلي الثورة ، وقد طالبت في المؤتمر بحث طابع ودور القوات المسلحة والشرطة ، على أساس انها أهم مشاكل المفاوضات .

لقد كانت لندن قد طلبت من الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي وقفا لاطلاق النار بمناسبة انعقاد مؤتمر لندن . ولكن الطلب رفض واعلن جوشوا نكومو ان أي وقف لاطلاق النار لا يمكن أن يحصل الا في حال التوصل الى تسوية شاملة لمختلف المسائل المطروحة . وفي ضوء مسار مؤتمر لندن تبدو هذه التسوية بعيدة ، ويبدو ان الطريق الوحيد السالك لا يزال طريق مواصلة القتال ، ومواجهة سياسة العصا والجزرة بمواصلة تصعيد القتال ، ووضع حد لمراهنات معسكر الخصوم ، الذي يدرك جيدا بان الزمن لا يعمل لصالحه ، وجهود لندن ـ بمباركة واشنطن ـ على عقد المؤتمر الدستوري ، وموافقة الثنائي موزوريوا ـ سميث على المشاركة فيه برغم صفقة التسوية الداخلية التي عقدوها بينهما ، تؤكد على ادراكهم أخيرا ، بان اي شيء خارج موافقة الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي لن يكتب له البقاء والاستمرار المستقر .

■